



## + آباؤنا القديسون

### البارّة اليصابات العجائيّة

إنّ الدّعوة لعيش وصايا الله التي تتلخّص بالمحبّة، هي دعوة تشمل كلّ البشر. فعندما نقول، متعلّلين بعلى الخطايا، أنّ الآخر قدّيس لذلك تقدّس ننسى أنّ ذلك القدّيس هو أولاً إنسان عاديّ ولكنّه أحبّ الله من كلّ قلبه وعاش كلمته وتمثلها لأنّه عرف أنّ "ناموس الرّب لا عيب فيه يصلح النفوس، شهادة الرّبّ أمينة تفقه الأطفال، فروض الرّبّ مستقيمة تفرّح القلوب، وصيّة الرّبّ وضاعة تنير العيون مخافة الرّبّ ثابتة إلى أبد الأبد، أحكام الرّبّ حقّ، عادلة كلّها وهي أشهى من الذهب ومن الحجر الكريم، بل أحلى من الشّهد والعسل لأنّ عبدك يحفظها فني حفظها ثواب عظيم" (مزمو ١٨ : ٧-١١). لهذا مهما قيل أو مهما سُمع عن حياة القدّيسين تبقى هذه الخبرات قصصاً إن لم نحاول أن نحيا أيضاً هذه الحية لتمثّل بها. فإذا سألنا كيف استطاع قدّيس معيّن تحمّل عذابات شتّى دون أن ينكر المسيح نجيب أنّ خيرة الإنسان المؤمن مع الله وعيشه كيانياً حياة الله أي حياة المحبّة، تجعله أرضاً صالحة حتّى إذا غرست نعمة الله فيه أثمرت مئة ضعفٍ أي أثمرت المحبّة والسّلام والتّعزية... التي تعطيه الدّفع لاحتمال الآلام والعذابات متشبّهتاً بالإيمان للوصول إلى سكنى ملكوت الله.

خيرة المحبّة هذه جعلت القدّيسة البارّة اليصابات تحيا حياة إلهيّة، حياة ملائكيّة مزهّمة عن كلّ تعلق مادّيّ. فقد كانت حياتها مجبولة بالصّلاة حتّى إنّها بقيت مدّة ثلاث سنوات تصلّي أن ترفع نظرها قطّ إلى فوق أو تحدّق بأحد. وكانت تذهب إلى بيوت الفقراء والأرامل وتذكّرة خدمة البتول القدّيسة مريم لنسيبتها القدّيسة اليصابات، لأنّ البارّة اليصابات عرفت أنّ الخطيئة العظيمة التي تبعد الإنسان عن الله وعن أخيه الإنسان وحتّى عن ذاته هي الكبرياء، متذكّرة صاحب المزامير القائل: "أعصم عبدك من الكبرياء فلا تتسلّط عليّ وإذ ذاك أكون بلا معاب وأتطهر من خطيئة كبيرة وكذلك تكون أقوال فمي وتأملات قلبي مرضيّة قدّامك في كلّ حين أيّها الرّبّ معيبي وفاديّ" (مز ١٨ : ١٣-١٤). كانت صياماتها عجائيّة لأنّها صامت مراراً الصّوم الأربعينيّ المقدّس من غير أن تذوق شيئاً مطلقاً. وأمّا لباسها فكان قميصاً بسيطاً ترتديه صيفاً وشتاءً متحمّلة بصبر عجيب الحرّ والبرد. لذلك شرّفها الله بصنع العجائب حتّى لُقبت بالعجائيّة. تعيّد لها الكنيسة المقدّسة في الرّابع والعشرين من نيسان.

إذا تأملنا سير القدّيسين نجد أنّ أساس كلّ عمل يقومون به هو الحبة لأنّها أساس إيماننا. فمن أراد أن يكون كالملاً فليتعلم من الله لأنّ "كلّ من يحبّ فقد ولد من الله ويعرف الله ومن لا يحبّ لم يعرف الله لأنّ الله محبّة" (رسالة يوحنا الرّسول الأولى ٤ : ٧-٨).